

سردية الموت البطيء في " الربيع الأخير "
The narrative of slow death in 'The Last Spring'

د. ربيعة مهدي *

جامعة سطيف 2 (الجزائر)

rafiaamahdi3@gmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2025-08-26 تاريخ القبول: 2026-01-15	اهتمت هذه الورقة البحثية بدراسة البنية السيميائية السردية في رواية "الربيع الأخير" للمؤلف الجزائري "عمي حاتم"، مستندة في ذلك إلى آليات التفكيك السردية وإعادة هيكلته وفق نموذج البناء العملي وبنياته الإجرائية: البنية الفاعلية، والبرامج السردية وكيفيات الرسم السردية ومقتضياته الجهمية، لتكشف الدراسة عن أربع بنيات فاعلية شكلت نص الرواية المدروسة، وهي: بنية المرض، وبنية العلاج، وبنية الرضى، وبنية التأبين.
الكلمات المفتاحية: ✓ سيميائي، سردي. ✓ الربيع الأخير. ✓ الموت البطيء.	Abstract :
Article info	

This research paper focused on studying the semiotic narrative structure in the novel "The Last Spring" by the Algerian author "Ammi Hatim", relying on the mechanisms of narrative deconstruction and restructured, highlighting its main structures represented in: the agent model , the narrative program , and the spatial modalities of narrative representation. The analysis produced four functional representations, namely: "the structure of illness", "the structure of treatment", "the structure of satisfaction", and finally "the structure of eulogy.

Keywords:

- ✓ *Sémiotique : Narrative*
- ✓ *The last : Spring*
- ✓ *Slow469 : Death*

مقدمة:

تمثل "الربيع الأخير" رواية اجتماعية من الأدب الواقعي ألفها الروائي الجزائري "عمي حاتم" حكى فيها على لسان "أمال" معاناتها وأسرتها مع مرض أبيها- ربيع ، الذي أصيب بمرض نادر عرف طبيا باسم "التصلب الجانبي الضموري"، مرض خبيث وماكر يستمتع بقتل من يتمكن من جسده وأوصاله قتلا بطيئا ، باعتماده ديناميكية الإبطال الجزئي لحركة أعضاء الجسد في امتداد زمني غير محدد ، يضع المعتقدات والمبادئ على المحك ، ويعيد ترتيب الأدوار والأولويات الفردية والاجتماعية . كما حدث مع أسرة - ربيع ، إذ فرض عليهم التحول من حالة الاستقرار والسعادة التي كانوا يعيشونها في كنف أبيهم "ربيع" إلى حالة من الاضطراب والقلق ، اضطرت العائلة معه إلى رفع التحدي ومواجهته لمدة عامين من الزمن ، تطورت المعاناة خلالها تطورا تراجيديا انتهى بنهاية مأساوية بعد سلسلة من التحولات والانقلابات ، تمثلت في وفاة الأب - ربيع ، وفقدان العائلة سندهم الأكبر في الحياة ، ليتكرر الوجد ويتكاثر الحزن في نفوسهم بعد تجربة فاشلة في مواجهة الموت للمرة الثانية ، وكان ذلك قبل أعوام حينما خطف الموت زوجة ربيع الأولى أم "أمال" و"سفيان" وخالة زوجته الثانية "روضة" ، إلا أنّ روحه المرحّة وحالة الرضى التي رباهم عليها قد ساعدتهم كثيرا في تجاوز تراكمات المحن ، والتعامل بإيجابية مع هذا المصاب الجلل ، فاستأنفوا حياتهم مرة أخرى بروحانية إيمانية وفاعلية اجتماعية كانت هذه الرواية ثمرة من ثمراته ، فهي رسالة لزرع الأمل ونشر الوعي وتعميق الإحساس بضرورة الخضوع إلى التحليل الطبي من حين لآخر للتأكد من صحة الفرد وسلامته ، حتى لا يقع أحبته في شرك الندم والحسرة .

واستجابة لهذه الرسالة الفنية ارتأت الباحثة تناول نصّها الروائي بالتحليل والدراسة ، وبعد قراءة متفحصّة تقرر اعتماد التحليل السيميائي السردى منهاجاً لها ، بهدف إبراز أثر المرض في إعادة تشكيل البنيات العلائقية الجديدة لأسرة "ربيع" من جهة ، وتداعيات استجاباتهم المختلفة له من جهة أخرى.

حيث يتوجب على التحليل تفكيك البناء السردى للنص الروائي وإعادة تشكيله وفق نموذج البناء العاملي المناسب مستعينا في ذلك بمجموعة من الأسئلة أبرزها : ما موضوع القيمة الأساس ؟ وما الأدوار التي انبنى عليها النموذج العاملي الجديد؟ وما الحوافز التي حركت العامل الفاعل ؟ وما الكفاءات التي توجب عليه حيازتها لإنجاز برامجه السردية ؟ وما العوامل المساعدة والعوامل المعيقة له ؟ و هل كان التقييم إيجابيا أم سلبيا ؟

وتوضيحا لطبيعة التحليل وخطواته ، هذه توطئة موجزة لآليات التحليل السيميائي السردى وأبرز

إجراءاته :

2. التحليل السيميائي السردى وبنياته الوصفية والإجرائية :

ينظر منهج التحليل السيميائي السردى لرواية "الربيع الأخير" بوصفها "عالم دلالي صغير (micro-univers) منغلق على نفسه ، يمثل ذاته ويحيل على ذاته" (A, J, G !:2013, sept , p20) ، ومن ثم يمثل نصها بنية سردية متكاملة وتامة ، لا يحتاج تحليلها إلى البرهنة على صحة حقائقها في الواقع المولد لها ، بقدر ما تحتاج إلى تفكيك بنائها السردى وإعادة هيكلته ، هيكله تسمح للتحليل بالكشف عن مفرداتها الأولية وعلاقتها العميقة التي تختبئ وراء التكاثر الدلالي المتصاعد نحو السطح. وللوصول إلى ذلك العمق اقترح المنهج أدوات وإجراءات منها :

2.1. البرنامج السردى : وهو "صيغة تركيبية منظمة للفعل الإنساني في شكله الصريح أو الضمني" (بنكراد، 2001، ص108) يعيننا على إبراز علاقات الاتصال والانفصال فيما بين ذوات السرد ومواضيع قيمها ، في موضع محدد من المسار السردى. والبرامج السردية نوعان أساسية إنجازية ، وثانوية استعمالية من طبيعة معرفية أو نفعية تنجز لحيازة كفاءة معينة.

2.2 - البنيات الفاعلية : ترسيمات بينية تربط بنيات السطح ببنيات العمق ، لها قدرة إجرائية على تحويل تجسيدات الخطاب السطحي التصويرية المتكاثفة إلى بناء تركيبى ذي طابع تجريدي عام. (خديجة، 2008، ص137)، تبدأ بعملية تحليلية لسلوكات الممثلين لتقليصها بتجميع المتشابه منها في بنيات وظيفية مميزة، اشتهرت باسم "العوامل" ، والعامل هو كل ما تميز - حسب غريماس - بميزتين هما : دوره الفارق في تطوّر الفعل السردى، ووضعته المختلف (وفق علاقات التقابل والتضاد) ضمن المنظومة العاملة ؛ فأما الشرط الأول فقد ساعده في تقليص عدد الممثلين الكبير إلى ستة عوامل فقط ، وأما الشرط الثانى فقد ساعده على انتظام هذه العوامل الستة في ثلاثة أصناف فقط (A, J, G !:2013, sept , p180)؛ لتتشكل له البنية شبه الأولية التالية :

مرسل — موضوع ← مرسل إليه

↑

مساعد ← فاعل → معارض

وتنتظم هذه الأصناف بين محور التركيب النحوي ومحور الاستبدالات الدلالية وفق الشرط الذي يحدد : أن كل علاقة على محور التراكيب يقابلها كيف جهى (=نمط) على محور الاستبدال يستثمر دلالاتها (بورايو، 1986، ص155، 154) حيث تمثل الأسهم :

- ↑ ← : علاقة (الفاعل بالموضوع) في مقابل "الإرادة" على محور الاتصال،
- ← ↑ : علاقة (المرسل بالمرسل إليه) في مقابل "المعرفة" على محور التواصل،
- ← ↑ → : علاقة (المساعد بالمعارض) في مقابل "القدرة" على محور الصراع،

وتضبط الأدوار السردية بين أقطاب هذه المحاور بالكيفية التالية (بورايو، 1994، ص41، 93) :

1. **الفاعل/ الموضوع :** حيث يكفّ الفاعل بمهمة البحث عن الموضوع .
2. **المرسل/ المرسل إليه:** حيث يوجه المرسل المرسل إليه ، باعتبار المرسل عاملاً مهيمناً ومصدر الإيعاز والتقويم والمجازاة ، والمرسل إليه عاملاً مستقبلاً للرسالة المراد تبليغها عن طريق موضوع القيمة ، فهو المستهلك للقيم الموعز بها ؛ ومن هنا قد ينشأ بينه وبين (الفاعل) تقاطع يوحد مجال نشاطهما .
3. **المساعد/ المعارض:** يتضاد هذان العاملان في محور الفاعل دعماً له في اتصاله بموضوع قيمته أو معارضته ، وتبين من صراعهما ظروف الاتصال والسياقات المحيطة به .

أما حركية هذه الأدوار فلا تبرز إلا بتتبع مراحل الرسم السردي ببرامجه المختلفة ، حيث تسعى ذات الفعل للاتصال بموضوع قيمتها بمساعدة كفاءات جبهة أربعة تتمثل في الكفاءة والتحريك والأداء والتقييم .

2.3. الكفاءات الجبهة :

تتراتب هذه الكفاءات تراتبا مرحليا تدريجيا اقتضائيا ، يتجه المسار السردي بموجبه من التحريك إلى الكفاءة إلى الأداء إلى التقييم (بنكراد، 2001، ص108)، لتبرز من خلالها تحققات مسعى ذات - الفعل في المستوى الحدتي ، وتثبت أهم اللحظات السردية التي مرّت عليها (جمال، 1436هـ، ص15 وما بعدها) :

أ- **الكفاءة** ؛ إجراء يعبر عن كينونة الفعل عند الذات التي توجب عليها الاتصال بموضوع قيمة كفي ، وتكون ذات كفاءة مفترضة؛ إذا امتلكت (معرفة ، إرادة ، قدرة ، فعل الفعل) مسبقا . وإلا توجب عليها القيام ببرامج سردية لحيازتها .

ب- **التحريك** ؛ إجراء معرفي يعبر عن فعل فعل ، يقوم بموجبه المرسل بإقناع المرسل إليه (في دور ذات تنفيذ) ودفعه لإنجاز برنامج سردي اتصالي ليتأسس بموجبه ذاتا منجزة . والمرسل - المحفّز قد يكون كأننا ماديا خارجيا تمثله شخصية أو عدة شخوص سردية (جيرالد، 2003، ص10) ، كما قد يكون معنى ذهنيا ذاتيا (فكرة ، واجب ، رغبة).

ت- **الأداء**؛ إجراء تحويلي يعبر عن فعل الكينونة ، يجسده البرنامج السردية الأساسي لذات الإنجاز ، أي البرنامج الذي تحدد نتيجته نهاية مسار سعيها للاتصال بموضوع قيمتها .

ث- **التقويم**؛ إجراء تقييمي يعبر عن كينونة الكينونة ، يجسده محور المرسل - الذات باعتباره "فعلا تأويليا" ، يصف الأحكام التقييمية الصادرة في حق الذات . فكل فعل تحفيز قبل الإنجاز يقابله فعل تأويل بعده . وتتمثل هذه الأحكام التقييمية في اعتراف بسطة المرسل المحرك ، أو في إبرام عقد بين المرسل والمرسل إليه ، أو غيرها من الأحكام.

ويتحدد مسار الذات المقترح - حسب هذه المراحل الأربعة - بين ثلاث وضعيات خطية

(جمال، 1436هـ، ص19) وهي :

1- **وضعية افتراضية** : تفترض ذاتا دون كفاءة ، يتوجب عليها القيام ببرامج استعمالية لحيازتها .

2- **وضعية تحيينية** : تكتسب فيها الذات الكفاءة المطلوبة ،

3- **وضعية تحققية** : تنجز فيها الذات برنامجها السردية الخاص ، وتتصل بموضوع قيمتها .

يبرز منهج التحليل السيميائي السردية من خلال هذه الإجراءات التي يعتمدها والآليات المضبوطة التي تحكمها منها محكما يساعد الباحث على تفكيك بنية النص وإعادة بنائه بالطريقة التي رسمها صاحبها وأمعن في توضيحها ، إلا أنه وبتكرار تطبيقاته النصية ، يتبين قصره عن الإحاطة بجوانب النص الروائي المختلفة ، باعتباره نصا متولدا عن واقع تجلى فيه مؤثرا ومتأثرا ، ومن ثم تعين على هذه الدراسة الاستعانة ببعض تقنيات المناهج السياقية مثل المنهج النفسي والمنهج الاجتماعي ، لإثراء بنياته واستثمار دلالاته وتعميق إحساس المتلقي بما عاناه شخوص السرد في مساعيهم وأدوارهم التمثيلية ، وما عبروا من خلاله عن أغراضهم الإنسانية ، وما تغنتي به هذه الأغراض من دلالات وتأويلات سياقية ، حيث تبرز العواطف عميقة والهواجس جليلة والطموحات قوية لامتلاك موضوع القيمة الكيفي ، والتضحية لأجل الوصول إليه واجبا والتزاما.

3. البنيات السيميائية السردية في " الربيع الأخير " :

في قراءة أكثر عمقا تبين انتظام عملية القصّ في رواية " الربيع الأخير " وفق مبدأ التضامن السردية؛ حيث شملت الرواية قصة محورية ذات بنية سردية كبرى ، وهي القصة - الأمّ ، التي تم تلخيصها سابقا ،

سرديّة الموت البطيء في "الربيع الأخير"

وقصصا ثانوية متداخلة ضمنها ذات بنيات سرديّة صغرى ، وعلى هذا الأساس تحددت مسارات البناء السردية الروائي في مسار عام هو محور الرواية ، والذي تشكل بناؤه من الأحداث والشخوص المشاركة بوظيفة مميزة وفارقة في عملية البحث عن علاج شاف للأب ربيع ، بالإضافة إلى مسارات فرعية أخرى تألفت فيما بينها لاستكمال بنائه العام ؛ ونظرا لمحدودية إطار هذه الدراسة فستركز على تتبع المسار السردية العام لرسم الخطاطة السردية الأساسية لرواية "الربيع الأخير" ، وتستثمر معطيات المسارات الفرعية في إثراء محاورها الدلالية وسياقاتها المختلفة ، وقد انتظمت وفق الترتيب التالي :

وض. بدنية (استقرار/سعادة) ← وض. اضطراب (مرض ويحث عن علاج) ← وض. ختامية 1 (اضطراب/موت الأب) ← وض. ختامية 2 (استقرار/حياة جديدة)

أ- **وضعية بدنية** : استقرار حياة العائلة واكتمال سعادتها بوصول الأب "ربيع" ورجوعه من سفر طويل لأجل العمل .

هذه الحالة من الاستقرار النسبي لم يبرزها حاضر السرد إلا في جزء يسير من المسار السردية ، بفضل عامل الجهل بإصابة الأب بالمرض الخبيث ، وما هي إلا ساعات قليلة حتى بدأت ملامح الاستقرار تختفي شيئا فشيئا منذ سماع "صوت كسر الكأس" (حاتم، الربيع الأخير، 1444، ص32) الذي سقط من يد الأب دون إرادته . وبايعاز من عامل الجهل أيضا لم تسجل هذه اللحظة أثرا سرديا أنيا حينها ، بقدر ما سجلته اللحظات السردية التذكيرية أنفا ، خاصة تلك التي استدعت فيها الابنة الكبرى "أمال" كل ما يمكنه أن يساعدها في تركيب صورة تفهم من خلالها حالة أبيها .

ومن أبرز الجمل السردية لهذه الوضعية الأولية (وضعية الاستقرار النسبي):

✚ " تساعل ربيع : حسنا.. كيف تسير الأمور؟ -

قالت روضة وهي تحضر كرسيها لربيع : كل شيء على ما يرام .. ماذا عنك؟ لقد سئمت بالتأكد من قيادة السيارة كل هذه المسافة؟ .

- أجب ربيع بنبرة مرحة : قليلا ، لكني تعودت ، ليست هذه هي المرة الأولى التي أقود فيها السيارة بهذا القدر ، والمفارقة أنها لن تكون المرة الأخيرة بالتأكيد .. (يضحك)" . (حاتم، 1444، ص24).

ب- **وضعية اضطراب** : بدأت سرديا من لحظة صوت كسر الكأس وتدرجت في دفع الأحداث نحو العقدة التي بلغ فيها الاضطراب أوجهه بتشخيص حالة الأب - ربيع بالمرض الخطير ، لتبدأ مرحلة التحولات والانقلابات مع رحلة البحث عن علاج، ومواجهة الأثر القوي لمعيقات الاستشفاء منه .
ومن أبرز العبارات السردية لهذه الوضعية ، تلك التي تضمنت :

✚ ظهور علامات المرض تدريجيا والخوف من المجهول: "ستكون بداية لتغيير شنيع" (حاتم، 1444، ص48).

✚ تشخيصه بعد مراجعات طبية : "ولديّ مرض التصلب الجانبي الضموري" (حاتم ، 1444 ، ص79)

✚ البحث عن علاج شاف: "قصدنا العديد من الأطباء، على أمل العثور على علاج لأبي" (حاتم، 1444، ص94)

ت- **وضعية ختامية أولى** : مثلت اضطرابا نهائيا بموت الأب - ربيع ، بعد سلسلة من التحولات أنتجها اضطراب في أوضاعه الصحية ، وأوضاع أسرته الاجتماعية والاقتصادية ، وأوضاع تخلف الأبحاث الصحية المحلية والعالمية.

ومن أبرز الجمل السردية الدالة على هذه الوضعية :

✚ - "يعني ذلك شيئا واحداً فقط، أن روح والدي تركت جسده، جسده الميت..

✚ "لم يبق شيء لفعله سوى الدعاء من أجل أن يتغمد الله روحه بواسع رحمته" (حاتم، 1444هـ، ص159).

ث - **وضعية ختامية ثانية ، ونهائية :** بما أن الساردة "أمال" أثبت أن يتوقف سردها عند وضعية الاضطراب "الأخيرة" في مسار البحث عن العلاج ، فقد تبني التحليل وضعية ختامية ثانية ، استنادا إلى "فصل سادس" أعلن عن حالة "استقرار جديد" باستئناف عائلة "ربيع" حياتها بروح متعالية عن الأحزان التي بداخلها ، وتكللت بالاحتفال بزواج الابنة الكبرى "أمال" . ومن أبرز العبارات السردية الدالة على هذه الوضعية :

✚ - "بعد سنة .. حدث ربيعي آخر ، " (حاتم، 1444هـ ، ص164).

✚ - "على الرغم من تحسن أحوالنا الخارجية، ومحاولتنا التعايش مع الوضع وتقبل الحقيقة المرة لوفاة والدنا يوما بعد يوم ، لكنني أراهن أن دواخلنا ودواخل قلوبنا كلها حزينة ، هذه هي حالتي على الأقل بالتأكيد" (حاتم، 1444هـ ، ص165)

كشفت تحليل مضمون الوضعيات السابقة تشكل المسار السردى العام لرواية "الربيع الأخير" من بنيات عاملية متعددة أبرزها البنيات الأربعة التالية :

أ - **بنية المرض - سردية الشلل العضوي**

ب - **بنية البحث عن العلاج.**

ت - **بنية الألم والرضى.**

ث - **بنية التأبين الروائي**

أولا - بنية المرض - سردية الشلل العضوي:

سجل المسار العام للقص الروائي لحظات سردية هامة برزت من خلالها الأعراض الأولى للمرض الخطير الذي أصاب الأب - ربيع ، ومن أهمها لحظة سقوط الكأس من يده في الليلة الأولى من وصوله لبيته العائلي بعد سفره الطويل من أجل العمل (حاتم، 1444هـ ، ص32)، ثم لحظة فشله في تدوير مفاتيح سيارته حتى اضطر إلى طلب المساعدة من ابنته "أمال" (حاتم، 1444هـ ، ص48) يوم قرروا الخروج في نزهة ، ومع تكرار مثل هذه اللحظات تصاعدت وتيرة السرد تدريجيا وتصاعدت معها مخاوف الأب وأسرتة : فالشلل الحركي ينتقل من عضو إلى آخر ، والحالة الصحية للأب في تآزم متزايد ، والتشخيصات الأولية عجزت عن اكتشاف المرض ، فلم تتعرف العائلة على خطورته إلا بعد مدة من الزمن ، وكان ذلك في العاصمة التونسية في عيادة الطبيب "رزين" حيث شخصه بمرض "التصلب الجانبي الضموري" ، وبيّن الكيفية التي يهاجم بها الجسم ، والعوامل المساعدة له للتحكم في حركية أعضائه وإعاقتها (حاتم، 1444هـ ، ص75 و89) وفي الترسيم التالية تشكيل لبنيته الفاعلية :

معرفة	جزاء
الإرهاق+الوراثة،الشيخوخة ← إعاقة أعضاء جسد " ربيع " ← ربيع وأسرتة (فقدان الحياة/ فقدان المعيل)	
تحريك ✓	↑ رغبة
تأخر التشخيص +انعدام الدواء+الأنفلونزا ← المرض (التصلب الجانبي الضموري) → أدوية إبطاء الانتشار+ زراعة الخلايا الجذعية	
قدرة	قدرة
بنية فاعلية شاملة : مهاجمة مرض "التصلب الجانبي الضموري" لجسد الأب - ربيع	

تجسد هذه الترسيمة المظهر السكوني العام للبنية الفاعلية لمرض "التصلب الجانبي الضموري"، أما حركيته وفاعليته حسب مسار الاستشارات الطبية المجسدة خطابيا في بنيات حوارية ، فهي بالكيفية التالية :

◀ - القائم بدور المحرك والموعز للمرض كينونة وفاعلية ، لا يخرج من أحد الاحتمالات التالية : الوراثة والشيخوخة والإرهاق فقد يكون أحدها أو مجموعها هو الممثل الرئيسي لهذا الدور .

◀ - القائم بدور العامل - الفاعل ، هو مرض "التصلب الجانبي الضموري" بديناميكته الخاصة في قتل الخلايا العصبية المتحكمة في حركية العضلات وإبطال عملها تدريجيا حتى الشلل النهائي لحركية الجسد و وفاة صاحبه .

◀ القائم بدور العامل المساعد ، اجتمع فيه عوامل مهمة : "تسارع الوقت" ، و"انعدام الدواء" ، و"الانفلونزا" التي أصيب بها الأب - ربيع ، في آخر رحلاته.

لقد أعطى اجتماع هذه العوامل للمرض دفعة قوية للانتشار السريع والتغلب على قوة جسد الأب - ربيع قبل أن يتدارك حاله ويستفيد من فاعلية العامل المعيق للمرض ، والمجسد خطابيا في عملية "زرع الخلايا الجذعية" التي أجريت له في المستشفى الصيني على يد الطبيب "سيونغ" (حاتم، 1444هـ، ص147)، والتي لم يكن مفعولها في إبطاء انتشار المرض إلا وقتيا لقوة العامل - الفاعل الذاتية والمكتسبة بفضل توفر العوامل المساعدة له ، وتأخر العوامل المعيقة لأسباب معينة.

والصيغة التالية توضح البرنامج السردى الذي أنجزه "فعل - المرض" الذي حقق فيه كينونته بوصفه ذات إنجاز :

1ف = 1ذا ← (2ذ ∩ م.ق (صحة جيدة) 2ذا ∩ م.ق (شلل عضوي/موت) ← 2ذ ∩ م.ق (صحة جيدة) (2ذا ∩ م.ق (شلل عضوي/موت))

مثل الفعل السردى العام فعل تحويل رئيسي (ف1) تقوم فيه ذات الإنجاز (ذا1) "مرض التصلب الجانبي الضموري" بإنجاز فعلها الرئيسي "إعاقة جسد ذات الحالة (ذا2)" "الأب - ربيع"، بتحويلها من ذات حالة متصلة بحالة صحية "صحة جيدة" منفصلة عن حالة مرضية "شلل عضوي" إلى ذات حالة منفصلة عن حالة صحية "صحة جيدة" متصلة بحالة مرضية "شلل عضوي".

وبهذا الإنجاز يكون المرض قد حقق "فعل كينونته" ووضع نفسه موضوع تقويم من طرف ذات الحالة "المرسل إليه" - ممثلا في ضحاياه "الأب - ربيع، وعائلته" ، فقوموه على أنه ذات فعل خطيرة ، وعامل محفز - في الوقت نفسه - لمواجهة قبل أن يفتك بصحته ، هذه المواجهة القبلية تطلبت منهم القيام بأدوار غرضية وأخرى عاملية وإنجاز مهام كثيرة ومتعددة ، وامتلاك كفاءات وقدرات متنوعة لتحقيق مبتغاهم ووصل الأب بموضوع قيمته "الشفاء" ، وهو ما تضمنته البنية التالية :

ثانيا - بنية البحث عن العلاج:

تترسم هذه البنية العلاجية بنية رئيسية في المسار السردى العام لنص رواية "الربيع الأخير"، بدء من اللحظة السردية التي قررت فيها العائلة التعامل بجدية مع حالة الأب - ربيع ، والسفر من أجله للكشف عن أسباب مرضه ووصله بعلاجه المناسب ودوائه الشافي ، ويتوضح من خلالها كيف أعاد المرض ترتيب الأدوار العائلية مرة أخرى ، ترتيبا يعتمد الحوافز والكفاءات المناسبة للوضع الصحي الجديد معيارا أساسا ، لتتشكل الترسيمة التالية :

معرفة	جزاء
الواجب الأسري + العزيمة ← وصل الأب بعلاج شاف ← الأب وأسرته	
تحريك ↙	↑ رغبة
التضامن العائلي + العلاج المبطن ←	أمال → تخلف م. ص. المحلية + (الوقت، ضعف المريض، السفر، التكاليف المادية)
قدرة	قدرة
بنية فاعلية شاملة: رحلات البحث عن العلاج	

لقد أبرز مجموع اللحظات السردية في مسار الرحلات العلاجية تواتر المسار الخاص بشخصية الابنة الكبرى "أمال"، أكثر من فاعلية من غيرها ، وذلك نظرا لقيامها بأكثر من دور غرضي وعاملي ، فكانت المرسل والمحفز ، والفاعل ، والمساعد ، والمعيق أيضا ، ومن أهم مساراتها الدينامكية تلك التي تموضعت فيها ذاتا للفعل (ذا3) أنجزت خلالها برامج سردية فرعية ورئيسية موضوع قيمتها الأساس "وصل ذات الحالة الأب - المريض" (ذا2) بـ "علاج أو دواء شاف" ، كما تبينه الصيغة الأولية التالية :

$$2 = \text{ذا3} \leftarrow \text{ذا2} \cup \text{م.ق (علاج/دواء شاف)} \leftarrow \text{ذا2} \cap \text{م.ق (شفاء مؤقت)}$$

ولأن رحلة البحث عن العلاج تطلبت سفريات متعددة لفشل عملية الاتصال في كل مرة ، فإن هذه الصيغة ستتكرر أكثر من مرة بدلالة تغير المكان المنشود لموضوع القيمة ، بداية من محل إقامتهم "مدينة المسيلة" ، وإن لم تبرز في التجسيد الخطابي بصفة جلية ، ثم "العاصمة الجزائرية" 2 ثم "تونس" 3 ثم "تركيا" 4 وآخرها "المشفى الصيني" 5، وبذلك يكون فعل الإنجاز العام هو مجموع عدة برامج سردية جزئية [بس.مج = ف(2+3+4+5)] مثلت نهاية كل جزء منها اضطرابا متجددا يحتاج إلى حل جديد ، حتى نهاية السلسلة التي سجلت اضطرابا دائما بموت الأب - ربيع ، بعد صراع طويل ومواجهة شرسة مع المرض هذا الأخير الذي ترسم بطلا ضديدا ، كانت له الغلبة في النهاية بإفشال مساعي ذات الفعل "أمال" في وصل ذات الحالة (ذا2) "الأب - ربيع" بموضوع قيمته ، وتوقف برنامجها السردية "الصحي" في لحظة انفصال أبدي مع الشفاء :

$$6. \text{ف.نهائي} = \text{ذا1} \leftarrow \text{ذا2} \cup \text{م.ق (علاج/دواء شاف)} \leftarrow \text{ذا2} \cap \text{م.ق (شلل عضوي/موت)}$$

وعلى الرغم من فشل البرنامج السردية الإنجازي لذات الفعل "أمال" ومساعدوها مرافقة ودعما ، في الوصول إلى موضوع القيمة "العلاج الشافي" ، إلا أن تقييمها كان إيجابيا في سياقات متعددة أخلاقية واجتماعية ، إذ إن الكفاءة المطلوبة أساسا في برنامجها ؛ أي العلاج الشافي ، لم تكن من مقتضيات دورها العملي بقدر ما كانت من مقتضيات المنظومة الطبية المحلية والعالمية ، ومن ثم تعدّ ذاتا محققة وبطلة تستحق الاعتراف الذاتي والأسري والاجتماعي - مع أفراد عائلتها ومساندوها طبعاً ، فقد قامت بما توجب عليها واستثمرت ما في وسعها من كفاءات مفترضة ومحينة للقيام برحلات ماراتونية لمواجهة مرض شرس استفاد من كل العوامل المعيقة لها ، ولأن هذه الرحلات العلاجية لم تكن فعلا ارتجاليا بالتأكيد ، وإنما تطلبت تخطيطا وتحضيرا مسبقين خاصة الخارجية منها ، فقد سُجلت بإدارتها لها - مع مرافقها سفيان - ذات محققة وتأسست عاملا فاعلا وبطلا معترفا به ، ومن بين كفاءتها المفترضة والمحينة معرفتها وقدرتها على البحث والتواصل عبر الأنترنت التي استعانت بها في مراسلة المشافي التركية والصينية ، واستخراج الوثائق وترجمتها وجمع الملفات الصحية وملفات السفر وغيرها ، وما لم تكتسبه أو تستطعه بسبب المعوقات وأبرزها "تسارع الوقت" ،

سردية الموت البطيء في "الربيع الأخير"

استعانت فيها بكفاءة ومقدرة العامل - المساعد أخيها "سفيان" الذي تكلف بمرافقة الأب - ربيع في مواعده مع الطبيب التونسي ، حينما غابت عنه لأجل حضور مؤتمرها العلمي في العاصمة التونسية وهو الموعد الذي كان فيه أول تشخيص للمرض المجهول بمرض "التصلب الجانبي الضموري"، بالإضافة إلى عوامل مساعدة أخرى بالتأكيد من عائلة وأصدقاء وقبل ذلك كله الأطباء الذي دعموها بالاستشارات والنصائح . ولم يكن لهذه المواجهة بكل ما تطلبت من جهود لتتحقق لولا عامل التحفيز الذاتي والجمعي : الواجب ، الإرادة ، والعزيمة ، بتحريك وتغذية من روح العقيدة الإسلامية والأخلاق العرفية للمجتمع المحافظ ، الذي يدفع الأفراد للتضامن والتكافل ويقيمهم إيجابيا أو سلبيا بناء على ذلك .

أما التقييم الأكثر سلبية في هذا المسار السردى العلاجي ، فقد كان موجها للعامل المعيق لبرنامج العلاج الشافي وهو نفسه العامل المساعد - الرئيسي لبرنامج البطل الضديد "مرض التصلب الجانبي الضموري" ، ألا وهو : تخلف البحث الصحى المحلى خاصة ، الذي أضاع من وقتها شهورا دون تقديم تشخيص دقيق أو علاج فعال ، بل زاد من قوة المعوقات الأخرى بمد نفسا طويلة للمرض لقتل ضحيته بكل أريحية ، ووفر الأنفلونزا دعما مضاعفا لإضعاف جسد المريض أكثر فأكثر ، ليتحقق المرض القاتل ذاتا بطلة قاهرة لضحاياها الشرسين "الأب - ربيع" وأسرته وأصدقائه .

ومن أبرز التجسيدات الخطابية المبرزة لوضعية العامل - المعيق "تخلف البحث الصحى المحلى" :

✚ "الأطباء الجزائريون الذين تمت استشارتهم لم يتمكنوا من تشخيص حالة ربيع." (حاتم، 1444هـ، ص58).

✚ "مرت أشهر ومازلنا لا نستطيع تحديد طبيعة مرض والدي ، كانت الأمور تزداد سوءا... لم يستطع أي من الأطباء الذين ذهب لاستشارتهم تحديد ماهية المرض ، وحتى الأدوية الموصوفة له لم تجد نفعاً في التخفيف عنه أو وقف انتشار المرض" (حاتم ، 1444هـ ، ص60).

✚ " يبدو أن المرض نادر ... لدرجة أن الأطباء الذين تمت استشارتهم يظلون غير واثقين ، وفي حيرة من أمرهم ، بشأن تقديم نتيجة دقيقة أو ورقة مرض واضحة من شأنها أن تخفف آلامه" (حاتم، 1444هـ، ص62).

ثالثا - بنية الرضى والأمل :

إذا كان الموت حتمية مفروضة على كل مخلوق فهو - أيضا - عدو يتوجب على المرء مواجهته بكل ما أوتي من قوة وعدة وهذا شيء لا يناقض إيمان المسلم بحقيقة الموت كما لا يناقض شعوره بالألم والحزن ، وكانت هذه حال الأب - ربيع فقد سجل مساره السردى لحظات سردية كثيرة اتصف فيها بالصبر والرضى والرغبة في زرع البسمة والتفاؤل لدى أسرته وأصدقائه ، فهو لا يريد رؤية أولاده يتألمون فيزيد ألمه ، بل رأى في ذلك فرصة ثمينة لاستدراك ما فاتته من سعادة معهم بسبب غيابه عنهم وسفره الدائم وإن لم يكن هذا السفر إلا للعمل من أجلهم كما همس لصديقه "عمي محمد" ذات يوم . والترسيمة الآتية توضح عوامل بنيته الفاعلية ، التي ترسم فيها عاملا - فاعلا موضوع قيمته تحقيق "الاستقرار النفسى والأسرى" يحركه **في ذلك إيمانه بقدر الله ورضاه به ، ومسؤوليته الأبوية تجاه رعيته الضعفاء ،** متحديا المعوقات الصحية بآثارها النفسية والجسدية عليه ، والاجتماعية بأخذ عهود على أفراد أسرته باستكمال هذه الوضعية إلى ما بعد وفاته ، وتحميلهم مسؤولية اعتناء بعضهم ببعض ، وأخذ وعدٍ صريح على ذلك من ابنه الأكبر "سفيان" ليتأسس هذا الأخير مساعدا أساسيا في شبكة التضامن الأسرى ، وذات فعل "مفترضة" يتوجب عليها وصل أفراد أسرته بحالة استقرار بعيدة .

<u>جزء</u>	<u>معرفة</u>
الإيمان بالقدر/ المسؤولية الأبوية ← زرع البسمة والتفاؤل ← أسرته وأحابه (راحة)	
تحريك ✓	↑ رغبة
التضامن الأسري والأصدقاء ← ربيع	→ الألم وشراسة المرض
<u>قدرة</u>	<u>قدرة</u>
بنية فاعلية شاملة : مواجهه الأب - ربيع للمرض بالرضى والصبر	

ومن التجسيديات الخطابية لهذه الوضعية المتعالية ما يلي :

✚ "ففي حالة حدوث شيء سيء ، أود أن تكون اليد اليمنى للجميع، وتعتني بهم ... أعدك يا أبي" (حاتم، 1444هـ ، ص 74)

✚ " كان إيمان والدي بالله قويا لدرجة أنه لم يظهر علامات حزن أو يأس؛ كان يقول دائما إن هذا هو قدر الله ، وأنه لا يمكننا القيام إلا بأمرين : نصلي من أجله وأن نفعل كل ما يلزم للبحث عن حل طبي ... كانت روحانيته فريدة من نوعها... كنا نحاول جميعا التصرف بشكل طبيعي وتجنب إظهار الحزن كما يفعل معنا". (حاتم، 1444هـ ، ص 88).

✚ "ضحك ربيع بعد سماع رد فعل روضة [حينما أخبرها عن مرضه]: كنت أسأل نفسي كيف يفترض بي أن أنطق هذه الكلمات الثلاثة! ... (ضحك)" (حاتم، 1444هـ ، ص 88).

✚ "واضرب ربيع على الذهاب إلى مسجد الحي من وقت لآخر للصلاة وقراءة القرآن" (حاتم، 1444هـ ، ص 92).

✚ "حافظ أبي على تفاؤله ... أعلم أن الاستمتاع بوقتنا ضروري لجعل أبي يتحسن..." (حاتم، 1444هـ ، ص 99).

بهذه التجسيديات الخطابية التي سجلها المسار السردى للأب - ربيع ، تبين إنجازه لمسار سردي بطولي ضديد مواز للمسار البطولي للمرض ، تأسس بموجبه ذات فعل/إنجاز (ذا4) وصل فيه أسرته/ذات الحالة (ذا5)) بموضوع قيمة "استقرار نفسي وأسري" يتصف بالرضى ويرغب في زرع الأمل والتفاؤل :

ف.7 = [ذا5] ← [(ذا4) م.ق (استقرار) (ذا4) م.ق (خوف وقلق)] ← [ذا4) م.ق (استقرار) (ذا4) م.ق (خوف وقلق)]

والتقييم الإيجابي لمسار هذا البطل الضديد تمظهر بشكل جلي في التجسيديات الخطابية ، وظهر بشكل أكثر مادية في دوافع إنتاج هذا العمل الفني رواية "الربيع الأخير" ، التي تتضمنها بنية التأبين التالية .

رابعا - سرديّة التأبين الروائي :

تشكلت هذه البنية العاملية في مستو بيني داخلي/خارجي ، عتبي/نصي كشف عن دور ضمنى لمؤلف حقيقي متوار خلف المؤلف الخارجي/المادي "عمي حاتم" الذي مثل دورا ثانويا في الرواية بوصفه ابن "عمي محمد" صديق العائلة ، أما المؤلف الحقيقي المتواري خلفه ، فمثل دور السارد الرئيسي العالم بكل شيء ، أي الابنة الكبرى "أمال" ، لتنتج بنية تأليفية ضمنية موازية للبنية التأليفية الخارجية ، تتوضح في الشكل التالي:

معرفة	جزء
الحب والاعتراف بالجميل ← السرد التأبيني ← الأب المتوفى والأسرة والأصدقاء	
تحريك ✓	↑ رغبة
الروائي عمي حاتم ←	أمال → تقنيات الرواية
قدرة	قدرة
بنية فاعلية شاملة : سردية التأبين	

توضح البنية السابقة أنّ عملية التأليف الروائي الأولى رسمت الساردة "أمال" مؤلفا حقيقيا لقصة الرواية والموعز الأصلي للروائي "حاتم" بصياغتها صياغة روائية، فروى قصتها على لسانها حينما رسمها ساردة رئيسية، وترسم هو عاملا مساعدا ممتلكا كفاءة التسريد الروائي ومقتضياته.

أما في مستوى قصة الرواية فيبدو جليا أن نزوع "أمال" لتأليفها كان بإيعاز ذاتي/اجتماعي، ممثلا في مشاعر الفخر بالأنا، والحب والامتنان للآخرين، فكان المرسل إليه نفسها وعائلتها والأصدقاء الداعمين. في تقييم إيجابي لهذا المجتمع البطل - أب - قدوة، وعائلة متضامنة، وأصدقاء داعمين، بغض النظر عن فشلهم في المسار السردى الخاص بالمعركة الصحية مع المرض، فقد نجحوا في معاركهم الموازية له.

إنّ هذا النزوع نحو تسريد المعاناة الأسرية في عمل فني روائي، ليدل دلالة جلية على أنّ عملية الكتابة هي إحدى الوسائل العلاجية التي يلجأ إليها الإنسان للتفيس عن مكونات نفسه تخفيفا للألم وإظهارا للحب والامتنان، إذ تحمّل السرد مسؤوليته في تقدير كل فرد من أفراد أسرة ربيع، وإبراز دوره المهم في التألف والتضامن الأسري للقيام بما يتوجب عليهم من أجل علاج الأب - ربيع وإسعاده في أيامه الأخيرة، وإتباع وصيته في تحقيق استقرار نفسي واجتماعي لأسرته، فكان لكل فرد من الأسرة بطاقته الوصفية الخاصة وكأنها شهادة تقدير وامتنان، وتكلم السرد بإعلان ربيع جديد ثم توصية، ليكون استئناف الحياة الجديدة مسلحا بالوعي والعزيمة في مصارعة الأمراض الخبيثة بأسلحتها الفتاكة بمبادرتها بالتحليل والفحوص، حفاظا على حياة الأحبة والوالدين خاصة، فهي أرواح متعانقة تستمد قيمتها في تعالقها لا انفصالها.

4. خاتمة:

عالجت رواية "الربيع الأخير" قضية من قضايا الأدب الواقعي التسجيلي الانتقادي والتوعوي، تجسد موضوعها في سيرة - أسرية، تحكي معاناة أسرة "ربيع" مع مرض والدهم النادر "مرض التصلب الجانبي الضموري" الذي تسبب في وفاته وتبين من خلال عمليتي تفكيك البناء السردى وإعادة بنائه وفق النموذج العملي أثر هذا المرض في إحداث بنيات عملية جديدة عمل التحليل على تشكيل أربعة منها وهي: بنية المرض، وبنية العلاج، وبنية الرضى والأمل، وبنية التأبين، تظهر أبرز العوامل المحركة لمساراتها السردية والتحديات المختلفة التي واجهتها: صحية، ونفسية، واجتماعية، خاصة. وأهم الكفاءات التي اضطرهم المرض بوصفه المحفز الأول لها - إلى تفعيلها واكتساب مقتضيات كفياتها للقيام ببرامج سردية لمواجهته، كما اتضحت السياقات الثقافية المتوارية خلف عوامل التحريك والإيعاز والتقييم، وأهمها السياق الديني والاجتماعي في دور الداعم العقدي والضابط السلوكي، والسياق الصحي - المحلي خاصة - في دور المعيق، لإسهامها الكبير في تأخر تشخيص المرض وفشل علاجه، ولأن الوقت قد لعب دورا كبيرا في خسارة المعركة أمام المرض، تبنى الخطاب السردى رسالة توعية بضرورة اغتنام الوقت للمحافظة على الأرواح قبل فوات الأوان.

5. قائمة المراجع:

- حاتم، عمي، (1444 هـ - 2023م)، الربيع الأخير، الجزائر، دار المثقف للنشر والتوزيع.

- بورايو، عبد الحميد، (1994)، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- بورايو، عبد الحميد، (1986)، القصص الشعبية في منطقة بسكرة - دراسة ميدانية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- بنكراد، سعيد، (2001)، السيميائيات السردية - مدخل نظري، المغرب، منشورات الزمن.
- جيرالد، برنس، ترجمة السيد إمام (2003)، قاموس السرديات، مصر، ميريت للنشر والمعلومات.
- جمال، حضري، (1436هـ - 2015م)، سيميائية النصوص - عرض وتطبيق منهجي، لبنان، مجد: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- خديجة، بصالح: (2008 - 2009)، سيميائية الأفعال والفواعل في القصة القصيرة "الجوع" لنجيب محفوظ نموذجا، أطروحة دكتوراه، قسم الأدب العربي ولغته، كلية الآداب واللغات، جامعة مستغانم، (الجزائر).
- Algirdas Julien Greimas: **sémantique structurale, recherche de méthode**, presses universitaires de France, 3^e tirage, 2013, septembre.